

إمبراطورية الحاج مندور

---



لم يكن الحاج مندور رجلا عاديا  
فقد تميز بمجموعة من الصفات الشخصية  
التي ساعدته على بناء ذاته أولا  
ثم على توسيع ثروة أسرته  
حتى أوصلها إلى الصدارة المطلقة  
بين جميع الأسر التي كانت  
متقاربة منها، أو حتى منافسة لها ..

\*\*

كان أهم ما يتحلى به الحاج مندور  
الذكاء المحاد، وبعد النظر،  
إلى جانب مرونة ذادرة  
في مواجهة خصومه الشرسين  
وتحويلهم — بمرور الوقت — إلى  
شبه أصدقاء، أو محايدين !

\*\*

وخلال صعوده المتوالى في تكوين ثروته  
تميز بالشطارة  
في ادراك قيمة الصفقات التي يعقدها..  
وقد بدأ حياته بالإقبال على شراء  
الأراضى البور، أو المنازل الآيلة للسقوط  
ثم يقوم بإعادة بنائها  
وتمليكها أو تأجيرها للراغبين فيها  
بأسعار عالية..

\*\*

ومما يذكر له بالفضل  
أنه كان رحيمًا جدا مع صغار الموظفين  
أو الشباب المقبلين على الزواج  
فكان يتساهل معهم  
ويقبل منهم المدفع بالتقسيط المريح  
الدأمر الذى جعل سمعته تشيع  
على أنه رجل طيب، وصالح،

وذو قلب رحيم

\*\*

وقد بلغت أملاك الحاج مندور  
من المتنوع والامتساع  
إلى حد أنه لم يكن يوجد شارع فى القرية  
إلى وهو يمتلك بيتا أو محلا فيه  
ومع ذلك كان الرجل متواضعا للغاية  
فكان يجلس على مقعد بسيط أمام منزله  
بجلبابه الأبيض المفضاض  
ويستقبل أصحاب الحاجات ،  
ويحل مشكلاتهم

\*\*

وحين عرضوا عليه الانضمام للحزب  
ودخول البرلمان  
رفض بكل أدب ،  
وقدم لهم أحد أبناء أخوته المتعلمين  
قائلا إنه أقدر على هذا المنصب منه  
بفضل تعليمه وحيويته

\*\*

تزوج الحاج مندور مرتين  
الأولى أنجبت له ثلاث بنات  
ثم عندما توفيت  
تزوج بالثانية التى أنجبت له ولدا  
بث فى قلبه سعادة لا توصف..  
ومازالت القرية تذكر  
الاحتفال الذى أقامه بتلك المناسبة  
وعدد العجول والخراف التى ضحى بها  
ووزع لحومها على الجميع

\*\*

كنت أنتهز الفرصة الملائمة

فأجلس مع الحاج مندور  
وأصغى إلى أحاديثه المشائقة  
عن مشواره المطويل في الحياة..  
ولم يكن الرجل فيلسوفا  
وإنما كان يمتلك حكمة التجارب  
التي تقربه من ذلك..  
\*\*

قال لى يوما:  
— إياك أن تظن  
أننى استخدمت فى بناء ثروتى  
أى شئ من المتحايل أو المخداع  
والله وحده يعلم أننى (رجل دوغرى)  
يعنى كل شئ عندى واضح وصريح  
والدليل على ذلك  
أننى أذهب بنفسى إلى مصلحة الضرائب  
وأدفع لهم ما يجب على  
لذلك فإنهم لم يأتوا أبدا لمطالبتى  
\*\*

قلت له:  
— ولماذا تقول لى ذلك؟  
— لأننى ألمح فى نظراتك  
بعض ما يهمس به الناس عنى  
— على الإطلاق يا حاج..  
إن الجميع يذكرك بالخير  
ثم على سبيل المجاملة ، سألته:  
— أألا تشعر بالسعادة الآن لما حققته طوال عمرك؟  
طأطا برأسه قليلا ، ثم تنهد طويلا ، وقال:  
— سعيد وحزين معا  
— كيف؟  
حين أنظر إلى ما قمت به  
خلال أربعين أو خمسين سنة  
أشعر بالسعادة وبالكثير من الرضا ،  
لكننى ما ألبث أن أحزن  
لخشيتى من ضياع هذا كله  
فى لحظة واحدة  
— بارك الله فى صحتك وعمرك يا حاج..  
— حسنا يا بنى .. لكن الموت علينا حق  
وهو آت لنا محالة

وعندما يقع المقدور  
لمن تؤول هذه الثروة التي جمعتها:  
لأقاربي، أم لابني الصغير؟  
ثم نظر في عيني بكل جدية، وقال:  
— يبدو يا بني..  
أن الإنسان منا معلق في ساقية  
وهو يحسب أنه هو الذى يديرها  
بينما هناك من علاقة بها  
وظل يدفعه على دورانها  
حتى ينتهى منه!

---

إمبراطورية الحاج مندور

---

لم يكن الحاج مندور رجلا عاديا  
فقد تميز بمجموعة من الصفات الشخصية  
التي ساعدته على بناء ذاته أولا  
ثم على توسيع ثروته أسرته  
حتى أوصلها إلى الصدارة المطلقة  
بين جميع الأسر التي كانت  
متقاربة منها، أو حتى منافسة لها..

\*\*

كان أهم ما يتحلى به الحاج مندور  
الذكاء الحاد، وبعد النظر،  
إلى جانب مرونة نادرة  
فى مواجهة خصومه الشرسين  
وتحويلهم — بمرور الوقت — إلى

شبه أصدقاء ، أو محايدين!

\*\*

وخلال صعوده المتوالى فى تكوين ثروته  
تميز بالمشطارة  
فى ادراك قيمة المصفقات التى يعقدها..  
وقد بدأ حياته بالإقبال على شراء  
الأراضى البور ، أو المنازل الآيلة للسقوط  
ثم يقوم بإعادة بنائها  
وتملكها أو تأجيرها للراغبين فيها  
بأسعار عالية..

\*\*

ومما يذكر له بالفضل  
أنه كان رحيمًا جدا مع صغار الموظفين  
أو الشباب المقبلين على الزواج  
فكان يتساهل معهم  
ويقبل منهم الدفء بالمتقسط المريح  
المأمر الذى جعل سمعته تشيع  
على أنه رجل طيب ، وصالح ،  
وذو قلب رحيم

\*\*

وقد بلغت أملاك الحاج مندور  
من التنوع والانتساع  
إلى حد أنه لم يكن يوجد شارع فى القرية  
إلى وهو يمتلك بيتا أو محلا فيه  
ومع ذلك كان الرجل متواضعا للغاية  
فكان يجلس على مقعد بسيط أمام منزله  
بجلبابه الأبيض المفضاض  
ويستقبل أصحاب الحاجات ،  
ويحل مشكلاتهم

\*\*

وحين عرضوا عليه الانضمام للحزب  
 ودخول البرلمان  
 رفض بكل أدب ،  
 وقدم لهم أحد أبناء أخوته المتعلمين  
 قائلاً إنه أقدر على هذا المنصب منه  
 بفضل تعليمه وحيويته  
 \*\*

تزوج الحاج مندور مرتين  
 الأولى أنجبت له ثلاث بنات  
 ثم عندما توفيت  
 تزوج بالثانية التي أنجبت له ولدا  
 بث في قلبه سعادة لا توصف..  
 ومازالت القرية تذكر  
 الاحتفال الذي أقامه بتلك المناسبة  
 وعدد العجول والخراف التي ضحى بها  
 ووزع لحومها على الجميع  
 \*\*

كنت أنتهز الفرصة الملائمة  
 فأجلس مع الحاج مندور  
 وأصغى إلى أحاديثه المشائقة  
 عن مشواره الطويل في الحياة..  
 ولم يكن الرجل فيلسوفاً  
 وإنما كان يمتلك حكمة التجارب  
 التي تقربه من ذلك..  
 \*\*

قال لي يوماً:  
 — إياك أن تظن  
 أنني استخدمت في بناء ثروتى  
 أى شئ من التحايل أو الخداع  
 والله وحده يعلم أنني (رجل دوغرى)  
 يعنى كل شئ عندي واضح وصريح

والدليل على ذلك  
أننى أذهب بنفسى إلى مصلحة الضرائب  
وأدفع لهم ما يجب على  
لذلك فإنهم لم يأتوا أبدا لمطالبتى

\*\*

قلت له:

— ولماذا تقول لى ذلك؟  
— لأننى ألمح فى نظراتك  
بعض ما يهمس به الناس عنى  
— على الإطلاق يا حاج..  
إن الجميع يذكرك بالخير  
ثم على سبيل المجاملة ، سألته:  
— أأنا تشعر بالسعادة الآن لما حققته طوال عمرك؟  
طأطا برأسه قليلا ، ثم تنهد طويلا ، وقال:  
— سعيد وحزين معا  
— كيف؟

حين أنظر إلى ما قمت به  
خلال أربعين أو خمسين سنة  
أشعر بالسعادة وبالكثير من الرضا ،  
لكننى ما ألبث أن أحزن  
لخشيتى من ضياع هذا كله  
فى لحظة واحدة  
— بارك الله فى صحتك وعمرك يا حاج..  
— حسنا يا بنى .. لكن الموت علينا حق  
وهو آت لنا محالة  
وعندما يقع المقدور  
لمن تؤول هذه الثروة التى جمعتها:  
لأقاربى ، أم لابنى الصغير؟  
ثم نظر فى عينى بكل جدية ، وقال:  
— يبدو يابنى..  
أن الإنسان منا معلق فى ساقية  
وهو يحسب أنه هو الذى يديرها  
بينما هناك من علقه بها  
وظل يدفعه على دورانها  
حتى ينتهى منه!

